مقتل أبي مسلم الخراساني

دراما في فصل واحد ذي ثلاثة مناظر

أشخاص الرواية

أبو مسلم الخراساني	فيزك
سعاد ، جاريته	عيسى بن ديصون
مالك بن الهيثم	أبو جعفر المنصور

يمثل المنظر الاول ، حجرة الاستقبال في دار أبي مسلم الخراساني بحلوان ، وقد تصدر الفاجعة في حالة نفسية مضطربة من جراء الحاح الخليفة عليه بالتوجه الى المدائن ، والمثول بين يديه ، وقد كان يخشى غدر الخليفة أبي جعفر المنصور ، لما بينهما من تنافس وضغينة ، وإذ كان أبو مسلم على هذه الحالة دخلت عليه جاريته الامينة سعاد متلهفة دون استئذان .

سعاد — عفواً يا مولاي ، إذا تطفلت هكذا بالدخول عليك في غير استئذان ، ولكن هو ولائي لذاتك الكريمة ، ولبيتك ، يفرض عليَّ أن أطلعك دون ابطاء ، قبل أن تبت نهائيًّا في أمر رحلتك الى المدائن ، بما يهمس به الناس بل خاصتهم . . . .

أبو مسلم — لا جناح عليك يا سعاد ، أراك مذعورة . . . فماذا يقول أولئك الناس ؟ . . . . اجلسي وكوني مطمئنة . . .

سعاد — يقولون يا مولاي ما قاله المنجّم . . . ويرددونه . . ويؤكدونه . . . ويزيدون عليه شرحاً وتأويلاً . . .

أبو مسلم — (متوجساً) هدئي روعك يا سعاد . ماذا قال المنجّم ، وماذا يقول الناس ؟

سعاد — قال المنجم ، إنه رأى أسداً له مثل رأسك اصطفاه ثعلب خبيث ، له رأس كرأس المنصور ، وادّعى هذا الثعلب أن له دالة على الأسد لأن والد الثعلب كان صديقاً حميماً للأسد ، فتفاهم الأسد والوالد على أن يقوم الأسد بالغزوات والفتوحات ، فتكون في يده القوة الحربية ، في حين يحتفظ الثعلب الكبير بالادارة ومظاهر الملك ، فتكون

في هذه الفترة السياسية ، وعلى أساس هذا التفاهم قضى الأسد على المنافسين ، وبنى ملكاً جديداً نعم به الثعلب الكبير أكثر مما نعم به الأسد . ثم مات الثعلب الكبير وحل محله ابنه الأكبر ، ولكن الابن الأصغر — وهو الثعلب الصغير — كان يحقد على الأسد ، وينفس عليه شهرته وحسن مكانته ، وكان يغري اخاه بالكيد للأسد ، وبالتآمر على قتله ، فكان أخوه يجزع لمجرد الفكرة ويعزف عنها مزوقاً ، وأخيراً توفي الأخ الأكبر وآل الأمر الى الثعلب الصغير ، وكان منذ سنين قد أصدر حكماً بينه وبين نفسه بقتل الأسد على الرغم من علمه بأنه البطل المغوار والقائد المحنك الذي لا يعوض للدولة ، ولكن هكذا قضت أنانيته الحاسبة . . .

أبو مسلم — (مقاطعاً ، وهو يمشي روحه) مهلاً يا سعاد ، اني لا أرى وجهاً للتشبيه والمقارنة . اني رجل عمل وكفاح ، ولا أثق بالأحلام والمنجمين ، وقد أعتد بنفسي ولكنه اعتداد من يصون كرامته لا اعتداد الخطرة ، ولولا ذلك لما تمكنت من ضرب ملك بني مروان واقامة ملك بني العباس مكانه وأنا في شرخ الشباب ، ولماذا يحقد أبو جعفر علي وقد أسندت له الأقطار وأخمدت الفتن ، ومن بينها ما قام بها عمه عبد الله ، ولم أبن مجداً لنفسي على حساب الدولة ولا على حسابه هو ، بل الدولة هي التي بنت مجدها على حسابي .

سعاد — عفواً يا مولاي . . . اني أروي لك حديث المنجم على علاته ورأي الخاصة فيه وهمس الناس عنه ، لقد رأى المنجم ذلك الثعلب النحيل يكيد للأسد ويستفزه للغضب والسخط والثورة حتى إذا ما غدر به وقتله فيما بعد لا يقول أحد انه اغتاله ، وانما يقال إنه هو قتله لنكثه بالعهد وان يكن أسداً . وقد رأى المنجم صديقين للأسد يشبه وجهاهما وجهي صديقك مالك بن الهيثم وخزك ، وهما يشيران عليه بفصم علاقته بالثعلب وبالرجوع الى عرينه في خراسان والاستقلال به ، وبأن لا يصيخ الى الترغيب ولا الى الترهيب ولو جاءا من عملائه أو أصحابه ، فالسلامة كل السلامة في البعد عن الثعلب الداهية الخبيث ، ولكن الأسد لم يسمع الى النصح المتكرر ولا إلى الانذار المتتابع ، وتوجه الى الثعلب كأنما القدر الجبار يسوقه إليه سوقاً ، فاستقبله الثعلب كما استقبل قواده أحسن استقبال وفي اليوم التالي أعد أربعة من الضباع من بين حراسه الأشداء ، فهجموا على الأسد وهو في مجلس الثعلب على غرة منه وفتكوا به ، ثم رمى بأشلائه في ضجة

(يسمع وقع أقدام مقتربة)

أبو مسلم — (مقاطعاً) كفى . كفى . إنصرفي يا سعاد . اني أسمع وقع أقدام وها هما مالك

ابن الهيثم ، ونيزك خادمان . (تصرف سديد ، ويدخل صديقاه ، مالك بن الهيثم ونيزك)

أبو مسلم — (متمالكا روعه) مرحباً ، مرحباً .

مالك ونيزك — سلام ومودة .

مالك — جئنا معاً تلبية لدعوتك ، ونحن نقدر سببها فما يشغل بالك يشغل بالنا منذ أيام .

أبو مسلم — أنتما موضع ثقتي وملجأ سري ومشورتي في النهاية ، ولا أكتم صديقي أني في حاجة قصوى إلى مشورتكما ، لا أقول إني أفتقدت شجاعتي ، ولكني مقبل المخاطر ، فبينما سلامتي في اللجوء الى خراسان ، أشعر بما يجذبني الى المدائن ، وهذا أبو داود يكتب اليّ من خراسان محذراً من معصية الخليفة ومن الرجوع الى خراسان ميلاً باذنه ، وهذا أبو اسحق الذي أثق به ، وقد أوفدته الى أبي جعفر ليأتيني برأيه ، فجاءني يقول إنه لم يجد من القوم ما ينكره ، وأنهم معظمون لحقي ويشير عليّ بالرجوع الى أبي جعفر فأعتذر اليه عما بدر مني وأستعيد مودته ، وهذا أبو حميد رسول أبي جعفر ينقل اليّ رسالة شفوية منه كلها وعيد وتهديد إن أنا خالفته ولم أذهب إليه ، بينما يعدني بكل خير إذا أنا طاوعته وعدت الى التعاون الكامل معه ، وها هم أصدقاء لنا من بني هاشم حضروا مجلس أبي جعفر يكتبون اليّ معظمين أمره ، محذرين من مخالفته ، ملحين عليّ بين يديه والناس رضاه ... ووسط كل هذه البلبلة أشعر بما يجذبني قصراً الى المدائن .

مالك — نشعر بشبكة محكمة حولك تمنعك من التحرك ... تشعر بعجزك عن النجاة فتستسلم دون تفكير ولا صراع ، وما هذه بطبيعة أبي مسلم .... إن أبا جعفر لسفاح وان تظاهر بالحكمة والتقوى ، وقد أباح دمك منذ بزوغ نجمك ، ومجلي عظمتك ، فهو حقود حسود ذو منطق أناني لا يرحم ، وقد أحلّ دمك منذ سنين وان لم يعلن ذلك ، وقد حاول تحطيم أعصابك بدسائسه الخبيثة الواسعة النطاق التي تعتمد على التهديد والترغيب في آنٍ واحدٍ ، والرشوة سلاح من أسلحته وبها استمان عليك بمنافسيك وأصدقائك في آنٍ واحد ، وبين الأولين منافسك أبو داود حتى تيأس من اللجوء الى خراسان ، وبين الآخرين أبو اسحاق الذي أجزل له أبو جعفر العطاء ووعده سراً بولاية خراسان ثمناً لخديعتك .....

فتيقظ يا أبا مسلم ، تيقظ وعد الى عزمك وحزمك ، ولا تصغ بما يقول أبو حميد عن

المنصور . لا تسمع كلام هذا الرجل ، ولا يهولنّك هذا منه ، إنما هو أن خراسان ولا ترجع ، ووالله لئن أتيت المنصور ليقتلنّك ، وقد وقع في نفسه منك شيء لا يأمنك بعده أبداً

أبو مسلم — وما وراءك أنت يا نيزك ؟ إني والله ما رأيت حاوياً أعقل منك ، فما ترى ؟ فقد جاءت هذه الكتب وقال القوم ما قالوا ، وقد سمعت رأي صديقنا الحميم مالك .

نيزك — لا أرى أن تأتي المنصور ، وأرى أن تأتي الري فتقيم بها فيصير ما بين الري وخراسان لك ، وهم جندك ، ما يخالفك أحد ، فإن استقام لك استقمت له وإن أبى كنت في جندك ، وكانت خراسان من ورائك ورأيت رأيك .

أبو مسلم — إني أشعر بقوة خارقة مسيّرة تدفعني الى المدائن ، ولو لقيت حتفي :

ما للرجال مع القضاء محالةً ذهب القضاءُ بحيلة الأقوام !

نيزك — أما وقد جزمت على هذا ، ولم تستمع إلى مشورتنا — وإن تظاهرت بطلبها والاهتمام بها — فأحفظ عني واحدة : — إذا دخلت عليه فأقتله ، ثم بايع لمن شئت فإن الناس لا يخالفونك ! (فصل موسيقي رهيبة مدة نصف دقيقة ما بين النظر الاول والنظر الثاني)

المنظر الثاني

(يمثل حجرة الاستقبال في دار عيسى بن موسى ابن أخي المنصور وصديق أبي مسلم الخراساني في المدائن ، وقد تناول أبو مسلم طعامه عنده) .

عيسى — سيأتيك ما أفنى القرون التي مضت وما حلّ في أكناف عاد وجرهم
ومن كان أنأى منك عزاً ومفخراً وأبعد في الطغيان أيام شدّاد !

أبو مسلم — (مذعوراً) هذا مع الأمان الذي أعطيت ؟ !

عيسى — اعتق ما أملك إن كان هذا الشيء من أمرك ، وما هو إلا خاطر أبداه لساني .

أبو مسلم — فيش الخاطر ، والله إذن . . . (— تدخل الجارية —)

جارية — مولاي ، بالباب رسول من أمير المؤمنين يدعو خليفتنا للمثول . .

عيسى — لينتظر الرسول قليلاً حتى أتوضأ .

أبو مسلم — لا أريد أن أطيل انتظاره إذ أني لم أمكث في حضرة الخليفة إلا برهة قصيرة مساء الأمس ، فقد دخلنا المدائن بعد أن أرخى الليل سدوله ، ومع أنه تلطف معي وطيّبني لم أرتح إلى ابتسامته المتكلفة التي بدت كقناع شفاف ، بيد أني لم

أتبين النيات المبهمة التي وراءها . . . .

جيمس — كل خير ان شاء الله ولكن لا تعجل بالدخول حتى أحضر وأدخل معك.

(يخرج عيسى الرضوء — وعلى الاثر تدخل الجارية)

الجارية — يلتمس الرسول أن لا تبطيء يا سيدي لأن أمير المؤمنين لا يحب الابطاء

أبو مسلم — اذن عليّ أن أتوجه دون انتظار مولاك . .

الجارية — صحبتك العناية والسلامة يا سيدي . . .

أبو مسلم — (مضطرباً) السلامة ، وهل من خطر ؟

الجارية — هذا دعاء صالح يا سيدي يقال حتى للأسد ، وأنت ذلك الأسد . . . .

أبو مسلم — (مبلبل الخاطر لهذا الوصف الرمزي الذي ذكره المنجم فيلاني طوران) الأسد ! .

(فاصل موسيقي رهيبة نصف دقيقة ما بين المنظر الثاني والمنظر الثالث)

المنظر الثالث

(يمثل قاعة الاستقبال في قصر أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور بالهاشمية — بعد المنظر الثاني بوقت قصير ، قبيل الاصيل) .

أبو مسلم — السلام على مولاي أمير المؤمنين .

أبو جعفر — تقدم يا أبا مسلم ، ما لي أراك مضطرباً ؟ هلمّ واجلس بقربي !

أبو مسلم — لقد نزع الجند سلاحي ، وهذا ما لم أتعوده من مولاي . . . .

أبو جعفر — لا تتكدر لذلك يا أبا مسلم ، فهذا نظام متبع في القصر دون استثناء منذ زمن طويل ، ولكنك بأهدتنا فلم تلحظه قبلاً . . . ومهما يكن من شيء فلن يطول بقاؤك هنا . .

أبو مسلم — (مغموماً شراً) لقد قطعت ورجالي الفراسخ الطويلة لاحظى بالمثول طويلاً بين يدي مولاي .

أبو جعفر — انك لم تقطعها طوعاً يا أبا مسلم ، بل نحن من جعلناك تقطعها اضطراراً بعد أن سددنا في وجهك جميع أبواب الهروب والخلاص ، بعد أن أثبتنا لك غرورك الكاذب وغباءك الفاضح — فقد ألبنا عليك منافسيك وأصدقائك ، وجعلنا وقراً في أذنك فلم تستمع إلى تحذير البصيرين من خلصائك الذين يعرفون أن الغدر لا يمكن أن يصفح عنه لبنا ، واشترينا من حضر معك من قواد . . . .

أبو مسلم — مولاي ! أهذا هو الأمان الذي قطع لي ؟ أيقال لي هذا بعد بلائي في خدمتكم جميعاً ؟ أيعاب عليّ حرصي على حياتي ولا يعاب الغدر بي ؟ من أي نبع هذا ؟ أمن الاسلام وهو الكريم المتسامح الذي لا يجزي الحسنة سيئة ، أم من الرجولة الفضلة واحترام صفاتها المروءة وحفظ العهد ؟

أبو جعفر — صه يا لعين أتبكتني في داري وقد خرجت من أنس الطاعة الى وحشة المعصية ، لقد نكثت بنا فحكمنا عليك لأنفسنا حكمك على غيرك لنا ، ولم تحتمنا رعاية الحق لك من إقامة الحق عليك ، إن ذنوبك لأكثر من أن تحصى ، وقد تعمدت انتقاصنا بكل وسيلة شيطانية قدرت عليها .

أبو مسلم — لا يقال لي هذا بعد بلائي في دولتكم وما كان مني .. هون من غضبك يا مولاي ، ولا تحتم الأمور فلن تكون الرابح ، إن حكم الله ثم حكم التاريخ فوق حكم الملوك . . . .

أبو جعفر — (صارخاً) لو كانت أمة مكانك لأجزت ناحيتها ، انما عملت ما عملت في دولتنا وبوحينا ، ولو كان ذلك إليك ما قطعت قتيلاً ، فلتذهب الى الجحيم . . .

(يصفق أبو جعفر فيدخل أربعة من رجاله ظاهري السيوف ويضربون أبا مسلم فيصيح)

أبو مسلم — يا أمير المؤمنين استبقني لعدوك . . . .

أبو جعفر — لا أبقاني الله إذن ، وأي عدو أعدى لي منك . . . (مخاطباً رجاله) اضربوا قطع الله أيديكم . . . . .

(تسمع ضربات السيوف)

أبو مسلم — (وقد خارت قواه) الرحمة يا مولاي . . . العفو . . . العفو . . . .

أبو جعفر — (متشفياً) العفو وقد اشتورتك السيوف ؟ !

زعمت أن الدين لا يقتضى فاستوف بالكيل أبا مجرم !
سُقيت كأساً كنت تسقي بها أمرّ في الحلق من العلقم !

(يدخل عيسى بن موسى فيساءل عن أبي مسلم)

عيسى بن موسى — أين أبو مسلم ؟ لقد سبقني لأني تأخرت في الوضوء . . .

أبو جعفر — (لرجاله قريبة) — تعني أبا مجرم ! . . . ها هو ذاك في البساط ، وقريباً في دجلة ! . . . .

(موسيقى حزينة لمدة نصف دقيقة ختاماً للرواية)